

سِحْرُ الْعُيُونِ

فِي

شَرْحِ سَائِلِ بْنِ زَيْدٍ

تأليف

جمال الدين بن نباتة المصري

٦٨٦ - ٥٧٦٨ هـ

تحقيق

محمد أبو الفضل بن هشام

الناشر

دار الفكر العربي

٢٣ - والإسكندر قتل دَارَا فِي طَاعَتِكَ .

هو الإسكندر بن فيلبس اليوناني^(١) ، واختلف في أصل اليونان ، فقال ابن الكلبي : هو يونان بن بقية ، ونسبه إلى إسحاق .

وقال يعقوب الكندي : يونان أخو قحطان ، من العرب من ولد عابر ، خرج من اليمن ونزل ديار المغرب ، وأقام فيها ، واستعجم لسانه ، وتكلم بلغة من هناك من الروم .

وقال الرقاشي - وهو الأشهر - إن يونان بن يافث بن نوح ، وليس من العرب ولا من الروم ، وإنما جاور الروم على ساحل البحر الرومي ، وكان وسيماً حسن العقل ، كبير الهمّة ، فأقام هناك حتى كثر ولده ؛ فخرج يطلب مكانا يسكنه ، فأتته إلى مدينة بالمغرب يقال لها : إقليبيّة^(٢) ، فبنى بها قصوراً ، وأقام وكثر نسله ، ولما احتضر أوصى إلى ولده الأكبر وصيّة حسنة ، ثم مات ، فاستولى ولده الأكبر على بلاد المغرب من ناحية إفرنجة والصقالبة ومن جاورهم ، ولما ظهر^(٣) بختنصر على مصر دخل المغرب ، ووصل إلى بلاد اليونان وقرّر عليهم أن يؤدّوا الخراج إلى ملوك فارس ، واستقرّ ذلك إلى أيام الإسكندر .

* * *

[الإسكندر بن فيلبس]

وأما الإسكندر فاختلف في نسبه ، فقيل : إنه الإسكندر بن فيلبس ، من ولد يونان ، وهو الأصح .

(١) م : « فيلبس » .

(٢) إقليبيّة ، ذكرها ياقوت ، وقال : إنها حصن منيع بإفريقية .

(٣) م : « ولما دخل » .

وقيل : هو الإسكندر بن الصَّعب ، كان أبوه نَسَاجا ، واسم أمّه هيلانة ، وكان يتما في حَمِيرٍ ، وسمعت أمّه ببیت الصَّنائع - وهو بيت وضعته اليونان في القسطنطينيّة - وصوّرت فيه الصنائع لتعرض على الصبيان ، فن تاقت نفسه لصنعة اشتغل بها - فحملته أمّه فشاهد صور الأشياء ، فوضع يده على تاج الملك فنهته أمّه سراراً فلم ينته ؛ فنظر إليها متولّي بيت الصنائع ، وقال : أنتِ هيلانة ؟ قالت : نعم قال : وهذا ابنك ؟ قالت : نعم ، فقال له : أبشّر فأنت الملك الذي يسحب ذيله في البلاد .

وهذا قول مردود ؛ لُبعد ما بين حمير واليونان ؛ ولأن القسطنطينيّة بنيت بعد رفع عيسى عليه السلام بزّمان ، وإنما انقرضت دولة اليونان عند ظهور عيسى .

والصّحيح أنه الإسكندر بن فيلبس^(١) ، وسمّى ذا القرنين تشبيهاً بذى القرنين المذكور في الكتاب العزيز ؛ لبلوغ ملكه قرني الشمس من المشرق والمغرب ، وهو صاحب أرسطاطاليس الحكيم ، كان أبوه أسلمه إليه ، فأقام عنده خمس سنين يتعلّم منه الحكمة والآداب ، فنال منه ما لم ينل أحد من تلامذته ، وممرض أبوه ، تخاف على الملك فاستردّه وعهد إليه .

* * *

[دارا الأصغر بن دارا الأكبر]

وأما دارا فهو دارا الأصغر بن دارا الأكبر بن أردشير ، أحد ملوك الفرس العظماء المشهورين ، كانت له قطيعة على أبي الإسكندر ؛ في كل سنة ألف بيضة من الذهب ، في كل بيضة ألف مثقال ، على عادة آبائهم ، فلما ملك الإسكندر أحرّ إرسال

(١) م : « فيلوفوس » .

القطيعة ، فكتب إليه دارا يتهدده ويتوعده حيث أخرج الإناوة ، وبعث إليه بكرة وصوجلان ، وخرقة فيها سمسم ، وقال : أنت صبي ، فالعب بهذه الكرة ، فإن أدت الإناوة وإلا بعث إليك بجنود عدد هذا السمسم ، وأتيت بك في وثاق .

فكتب إليه الإسكندر : أما بعد ، فقد تيمنت بالكرة والصولجان ، فإن الدنيا مثل الكرة وسألعب بها ، وأضيف ملكك إلى ملكي . وأما السمسم فقد تيمنت أيضاً به ، لأنه بعيد عن الخرافة^(١) والمرارة . وأما الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض فقد ذبحتها ، وأكلت لحمها .

فغضب دارا ، وسار إليه بمجموعه ، وسار الإسكندر بمجموعه ، والتقيا على نصيبين الجزيرة ، فلما هم دارا بالقتال بعث إليه الإسكندر يقول له : أيها الملك ، لا تفعل ؛ فإن دماء الملوك لا تجوز إراقتها ، وهدم البيوت القديمة غير محمود ، والبنغي ذميم العقبي ، والحرب غير مأمونة العاقبة ، وأصحابك قد ملؤك وكرهوك لسوء سيرتك ، فارجع فإنك تحمد قولي .

فلم يلتفت إليه دارا ، وأقاما يتحاربان مدة . ثم إن الإسكندر دبر حيلة ، وهو أنه لما وقع المثلل بين الفريقين برز منادى الإسكندر فقال : يا معشر الفرس ، قد علمتم ما كان من مكاتبتكم لنا ، وما كتبنا لكم^(٢) من الأمان ؛ وقد طال القتال ؛ فمن كان منكم على غير^(٣) قتالٍ فليعتزل ، وله الوفاء بالعهد .

فاتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا ، فكان ذلك من أسباب خذلان دارا . ثم وثب على دارا رجالان من أصحابه قطعناه من خلفه فوق ، وكان الإسكندر نادى : من ظفر بدارا فلا يقتله ، فجاء الرجالان إلى الإسكندر ، فقالا : قد قتل

(١) الخرافة ، بفتح الحاء : طعم يحرق اللسان والضم .

(٢) ت : « ومكاتبتنا لكم » .

(٣) د : « على العهد » .

دارا ، فجاء فنزل عن فرسه وقعد عند رأسه وبه رَمَق ، فقال : والله ما هممت
 بقتلك ، ولقد نهيتُ عنه ، ولقد يعزُّ عليّ مصابك فاسألني حوائجك . فقال :
 تقتل فلانا وفلانا اللذين قتلتاني ؛ فأبى كفت محسنا لهما ، وتزوج ابنتي روشنك .
 فقال : سماعا وطاعة ، وأحضر الرجلين فقتلها ، وقال : هذا جزاء من يتجرأ
 على ملكه ؛ وتفرق ملك فارس .

ثم سار الإسكندر إلى بابل وجلس على سرير دارا ، واستولى على خزائنه
 وجواهره وسلاحه ، وتزوج ابنته روشنك . وقيل : إنها كانت زوجة دارا
 وهي ابنته ، ولم يكن في زمانها أحسن منها . وقيل : إن الإسكندر لم يجتمع بها ،
 وقال : أخشى أن أكون غلبت دارا وفتغابني روشنك .

(١) م : « الاجتباء » ، د : « الاحتباء » . والاجتباء : الاختيار .
 (٢) بتجرعه فينا ، يريد استساغتهم هذا الأمر ورضاهم عنه .